" دراسة عمرانية لمساجد ضاحية إسكودار بإستانبول خلال العصر العثمانى"

محمود السيد محمد محمد (*)

يرتبط وضع المدينة وتطورها ارتباطاً جذريًّا بمستوى حضارة الشعوب؛ لأن المراحل التى تمر بها الحضارة تؤثر فى هيئة المدينة ونموها العمراني. وقد كان المسجد فى حد ذاته الخلية الأساسية والعضو الجوهري المؤثر فى حياة المدينة وتطورها؛ لذلك يجب دراسته من حيث هيأته ووظيفته ضمن المجموعة العمرانية، ومن خلال علاقته بتطور تخطيط المدينة ونموها، والكثافة السكانية للمنطقة المتواجد بها المسجد، وتخطيط الشوارع المحيطة به، وعلاقته بما يجاوره من معالم وأسواق، وتأثير اتجاه القبلة بتلك المساجد على محيطها العمراني. لذا يتناول هذا البحث الدراسة العمرانية لمساجد ضاحية إسكودار[١]؛

(*) المعيد بقسم الآثار الإسلامية كلية الآثار جامعة سوهاج

هذا البحث جزء من رسالة الماجستير الخاصة بالباحث بعنوان: " المساجد العثمانية الباقية فى ضاحية إسكودار بإستانبول، فى الفترة (٧٥٢ - ١٢٢٣هـ / ١٣٥٢ - ١٨٠٨م) (دراسة آثارية معمارية)"، تحت إشراف أ.د. حمزة عبد العزيز بدر – كلية الآثار – جامعة سوهاج & أ.د. فهيم فتحي إبراهيم – كلية الآثار – جامعة سوهاج.

[١] – تعد ضاحية إسكودار (ÜSKÜDAR) إحدى ضواحى مدينة إستانبول (Istanbul) (خريطة١)، وهى تقع علي الشاطئ الأسيوى لمضيق البوسفور فى مواجهة إستانبول القديمة، ومنطقتى بيرا وغلطة ،وتمتد على الجانب الآسيوى لمضيق البوسفور. ويحدها من الشمال بيقوز (Beykoz) ،ومن الجنوب قاضى كوى(Kadıköy) ومن الشرق عمرانية (Ümraniye)، ومن الغرب مضيق البوسفور البوغاز (boğaziçi)، وكانت ضاحية إسكودار نقطة مهمة علي طريق دمشق بالنسبة للحجاج المسافرين من الأناضول وروميلى إلى مكة، كما كانت مركزاً تجارياً، حيث يقوم التجار بتفريغ البضائع التي احضروها من الشرق إلى إستانبول في إسكودار.

Godfrey Goodwin: A History of Ottoman Architecture, Thames and Hudson Ltd, London, 1971, p, 212-14.

Suraiya Faroqhi : Pilgrims Sultans , The Hajj under the ottoman (1517 – 1683) , londan ,1994, pp,32-33 .

حيث كانت المساجد جزءًا من المنظومة الاقتصادية بإسكودار، وكانت تمول من عائدات المؤسسات أو الأوقاف التى كانت تمتلك بيوتاً أو الأنظمة المالية أو البازارات. ولم تكن مساجد الدولة العثمانية أماكن للعبادة وحسب، بل كانت كذلك تأكيداً ماديّاً على تدين الأسرة الحاكمة وعدلها وإحسانها وكرمها؛ حيث كانت مساجد السلاطين تعلن عن ثرائهم وتطهرهم فى الوقت نفسه. وقامت بالدور السياسى من خلال انعكاس الحالة السياسية التى كانت سائدة فى الدولة، بالإضافة للدور الدينى (الصلاة)، وهو الغرض الأساسى من بناء المساجد.

وتهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على التطور العمرانى لضاحية إسكودار من خلال مساجدها، ويتم ذلك من خلال إبراز عدة نقاط، وهى:

أولاً: تأثير المساجد على تخطيط ضاحية إسكودار وتطورها العمرانى.

ثانياً: العلاقة بين المساجد وعدد السكان بضاحية إسكودار.

ثالثاً: علاقة المساجد بما حولها من خلال معرفة علاقة المسجد بالكلية وعلاقة المساجد بالضاحية وعلاقة المساجد بخارج الضاحية وعلاقة المسجد بالمنشىء.

أولاً – تأثير المساجد على تخطيط ضاحية إسكودار وتطورها العمرانى :

يرتبط وضع المدينة وتطورها ارتباطًا جذريًّا بمستوى حضارة الشعوب، لأن المراحل التى تمر بها الحضارة تؤثر لزوما فى هيئة المدينة ونموها العمراني. وقد كان المسجد الجامع فى حد ذاته الخلية الأساسية والعضو الجوهري المؤثر فى حياة المدينة وتطورها.

Hillenbrand Robert: Islamic Architecture, The American University in Cairo Press, 2000, p.121.

Sinem Arcak: Üsküdar as the site for the mosque complexes of royal women in the sixteenth century,Tez Yükseklisans,Sabancı Üniversitesi, 2004 , p, 15, 16 .

Doğan Kuban: Ahistory of ottoman architecture, England, 2010, p.545

Ahmet Tahir Dayhan : ÜSKÜDAR ,İslâm Ansiklopedisi, Türkiye Diyanet Vakfı, Ankara, cilt 42, 2012, p, 364 .

ومن المتعارف عليه أن المسجد يتوسط المدينة، وحوله النسيج العمرانى؛ وهكذا تتطور المدينة[1]، ولكن فى ضاخية إسكودار وجد العكس، حيث وجدت المساجد الأقدم على مضيق البسفور وأخذت المدينة تتطور اتجاه الداخل، ومن هنا فالتطور العمرانى لم يرتبط بالمساجد فقط؛ بل بطبيعة الموقع أيضاً. وعلى هذا الأساس يمكن القول أن التطور العمرانى لضاحية إسكودار كسر القاعدة المتعارف عليها (أن التطور العمرانى يكون متجهاً إلى خارج المدينة)، أما ضاحية إسكودار فكان التطور العمرانى متجهاً إلى الداخل، ولعل ذلك يرجع لوجود مضيق البسفور.

ويمكن معرفة التطور العمرانى للمدينة من خلال تتبع تواريخ ومواقع المساجد الموجودة بها، أما فى ضاحية إسكودار فلم تلتزم بهذه القاعدة، وإنما الدعاية السياسية هى التى تحكمت فى ذلك، وليس الحاجة لتلبية التطور العمرانى، ومثال على ذلك مسجد ينى والدة على الرغم من وجود مساجد سابقة له، إلا إنه فضل للموقع أن يكون قريب من مضيق البسفور.

وعلى أية حال فقد بدأ النشاط العمرانى لضاحية إسكودار مع السلطان محمد الفاتح الذي بنى قصر إياظمة في إسكودار، وبنى أيضاً مسجداً صغيراً يعرف باسمه "مسجد الفاتح"[2]، أما عن أول عمل معمارى بعد فتح القسطنطينية فإنه

---

١ – محمد عبد الستارعثمان: المدينة الإسلامية، سلسة عالم المعرفة، العـددد١٢٨، الكويـت، ١٩٧٨م، ص٣٠.

شهاب الدين ابن الربيع: سلوك المالك فى تدبير الممالك، تحقيق: عارف أحمد عبد الغنى، دار كنان، دمشق، ١٩٩٦م، ص١٠٦.

جينفير سكيرس: الثقافة الحضارية فى مدن الشرق، ترجمة: ليلى الموسـوى، سلسـلة عـالم المعرفة، العدد٣٠٨، الكويت، ٢٠٠٤م، ص٤٩.

Paul oliver, Binarismin in an Islamic City, selected papers from A Symposium organized by the College of Architecture and planning, 5-10 Jan 1980, King Faiasal university, Dammam, 1403/1983, p-p. 121 – 45.

٢ – يقع المسجد فى شارع (اركا) فى ناحية صالاجق، وهو أول مسجد تم انشاؤه فى ضاحية إسكودار، منذ أن دخلها العثمانيون عام ١٣٥٢م، حتى فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م؛ أى بعد

يرجع إلى الصدر الأعظم روم محمد باشا، وهو عبارة عن مجمع معمارى في وسط الحدائق[١]. واستمرت حركة العمران بعد عصر الفاتح علي أيدى خلفائه من سلاطين آل عثمان وكبار رجال دولتهم فضلاً عن وجود علية القوم وأثريائهم، وبلغت العاصمة قمة عزها ومجدها وازدهارها في عصر سليمان القانوني[٢].

ومع الاتساع والازدهار الذي شهدته العاصمة إستانبول لم تكن المباني الدينية وقفا علي الجانب الأوروبى؛ لوجود سراى السلطان والباب العالي ومقر الوزارات، بل امتدت هذه المجمعات المعمارية لتشمل الجانب الأناضولى من البسفور، حيث أقام السلطان مصطفى الثالث جامع إياظمه تخليداً لذكرى والدته

فتحها بمائة عام، والجدير بالذكر أنه بعد معركة أنقرة عام ١٤٠٢م مع تيمورلنك خرجت إسكودار من حوزت العثمانيين، حتى فتح القسطنطينية عام ١٤٥٣م.

Mehmet Nermi : YÜZYILLAR BOYUNCA ÜSKÜDAR, Cilt,1, Üsküdar Belediyesi Üsküdar Araştırmaları Merkezi, 2001,p, 180 .

وذكر حسين الإيوانسرى فى كتاب "حديقة الجوامع": بنى المسجد أبو الفتح سلطان محمد خان غازى، ووضع منبره حكيم باشا زاده فى فترة صدارته، ويوجد المسجد فى حيه المعروف باسمه، وهو أول حى فى إسكودار ،وتم بعد ذلك فى نفس المكان إنشاء مسجد وجشمه من طرف آق شمس الدين، ويروى أن أول جمعة كانت فى هذا المسجد، وكان أول خطيب صلى الجمعة اسمه إبراهيم.

حافظ حسين الإيوانسرى: حديقة الجوامع ,مطبعة عامره ده طبع ,ج ٢, ١٢٨١هـ ،ص ٢٢٧.

وفى ٢٩ مايو ١٥٤٣م وبعد فتح مدينة إستانبول ،تم بناء مسجد خشبى من أجل الصلاة فيه، وبعد صدارة الصدر الأعظم على باشا فى عام ١٧٣٢م ،وضع بيده المنبر فى المسجد، وحوله إلى جامع يعنى بعد ٢٨٠ سنة من بنائه ،وبعد مدة من الوقت حدث خراب للمسجد، وتم تجديده فى عام (١١٦٦هـ/ ١٧٥٣م) من طرف السلطان محمود الأول، وتمت إزالة منبر المسجد من طرف وزارة الأوقاف .

Mehmet Nermi : YÜZYILLAR BOYUNCA ÜSKÜDAR ,p, 181.

1 - Pinar Kayaalp-Aktan : the Atik Valide mosque complex: Atestament of Nurbanu,s prestige, power and piety,The Center for Middle Eastern Studies, Harvard University, 2005, p, 135 .

[٢] – محمد بيومي: كتابات العمائر الدينية العثمانية بإستانبول دراسة أثرية فنية، رسالة دكتوراة، آثار القاهرة ،١٩٩٠م، ص ٩٨ .

مهرشاه عام (١١٧٤هـ/١٧٦٠م)، وقد أقيم الجامع فوق ربوة تطل علي المنطقة كلها[١].

ومما ساعد أيضا على نمو العمران لضاحية إسكودار أبنية حريم القصر السلطانى فيها؛ حيث تعد إسكودار من أكثر المدن التي تحتوى علي أبنية من قبل نساء القصر، سواء كانت هذه الأبنية مساجد أو قصوراً أو مساجد حولها مجمعات أو أبنية أخرى صغيرة في المساحة. ولعل ذلك يرجع إلى أن نساء البلاط لهن طرز معمارية أقل أو محدودة مقارنة بالسلاطين؛ لأنهن لم يكنَّ من أصحاب السلطة الحقيقية، لذا نلاحظ انعكاس ذلك على حجم هذه الأبنية ومواقعها.

والجدير بالذكر أنه لم تبن لهن أبنية في إستانبول باستثناء خرم سلطان حتى القرن ١٦م، وإذا سمح لهن بالبناء في المدينة فقد كان علي الأطراف، وهذا يشير إلي أنهن في وضع أدنى من السلاطين[٢]؛ لذلك اتجهن إلى ضاحية إسكودار التى شيد بها خمسة مساجد ضمن مجمعات معمارية[٣]، بواسطة نساء القصر أربعة منها شيدت من قبل (جلغم خاتون ومهرماه سلطان ونوربانو والدة وكوسم سلطان)، أما الخامس فهو مسجد ينى والدة الذى شيد بواسطة السلطان أحمد الثالث؛ لذلك لا يعد ضمن قائمة مساجد المرأة. وسيطرت هذه الأبنية بصرياً علي الضاحية في القرن ١٨م[٤].

ولقد ساعد تشييد هذه الكليات على التوسع العمرانى، وإنشاء مجتمع جديد، ونشر روح المجتمع الإسلامى[٥]؛ حيث كانت الكلية مركزا للحى الجديد والمنازل

---

[١] – الصفصافى أحمد المرسى: إستانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة، دار الآفاق العربيـــة للنشر،ط ١ ، ١٩٩٩م ،ص ١١٥ .

2 - Sinem Arcak : Üsküdar as the site for the mosque ,p, 1.

[٣] – تعد أول كلية في ضاحية إسكودار، كلية "جلفم خاتون" التى ترجع إلى عام ١٥٤٢م .

Sinem Arcak : Üsküdar as the site for the mosque ,p, 29 .

4 - Sinem Arcak : Üsküdar as the site for the mosque ,p, 2, 5 .

5 - Majdi Ahmed Almansouri : The role of the Friday Mosque (Al-Jami) in Islamic cities, Ph.D, University of Illinois at Urbana-Champaign, 1991, p, 155 .

الجديدة التى تتطورت بمعنى أن وجود الكلية أدى إلى وجود أحياء[١]؛ لذا فقد راعى المعمارى الوحدة والانسجام مع البيئة المحيطة للكلية ،وتحقق ذلك بأن يكون حجم الكلية مناسبا لحجم البيئة المحيطة بها من حيث عدد السكان أو أحجام المبانى المحيطة بالكلية[٢].

أما عن التطور العمرانى لضاحية إسكودار، فمنذ البداية كانت على جانبى مضيق البسفور القرى الصغيرة وأماكن الأرستقراطين والقصور والأديرة من ناحية أخرى، وشكلت المناظر الطبيعية خارج أسوار المدينة فى فترة ما قبل الترك مظهر المدينة، ولم تتوفر معلومات يمكن الاعتماد عليها بخصوص المظهر المادى لهذه الفترة، وقد استمر وجود إسكودار كحى سكنى صغير فى الفترة البيزنطية[٣].

أما فى العصر العثمانى فقد تم تقسيم مناطق الإسكان بإستانبول إلي قضاءات من الناحية الإدارية في عهد السلطان محمد الفاتح وهى: قضاء أيوب، قضاء إستانبول، قضاء غلطة، قضاء إسكودار. وتم إنشاء مناطق إدارية وتجارية بالعاصمة في عهد محمد الفاتح، إلي جانب المناطق الإدارية والتجارية للقسطنطينية، وكان اتجاه التطوير خارج الأسوار محدودا في هذا العصر ،كما أن الأتراك والأرمن واليهود الذين جاءوا من مناطق الأناضول المختلفة إلي إستانبول كانوا قد استقروا فى إسكودار أثناء سلطنة محمد الفاتح.

وقد تجمع الأتراك الذين استقروا والذين جاءوا من الآناضول في أكناف الجبال خلف حى شمسي باشا. وذكر في وقفية محمد الفاتح أنه يوجد ثلاثة أحياء، تجمعت في منطقة البوغاز كانت هي الأحياء الموجودة داخل الأناضول[٤]. وورد فى دفتر عام ١٥٣٠م ،أنه يوجد فى ضاحية إسكودار ثمانية أحياء هى: (محمد

---

1 - Majdi Ahmed : The role of the Friday Mosque, p, 167 .

2 - Majdi Ahmed : The role of the Friday Mosque, p, 221 .

3 - Selda Karaosman: ÜSKÜDAR'DA ÇEVRE VERİLERİNİN OSMANLI DÖNEMİ CAMİLERİNİN YERLEŞİMİNE ETKİSİ, Üsküdar Sempozyumu, Üsküdar Belediye Başkanlığı, Üsküdar Araştırmaları Merkezi, part I, CİLT 1, İstanbul, 2004 .,p, 346.

4 - Selda Karaosman: ÜSKÜDAR'DA ÇEVRE VERİLERİNİN ,p, 347.

باشا - كيبشى - هركلا - حمزه فقيه - داود باشا - كرادلى - بولغورلى - سلمان اغا)[1]، وفى بداية القرن ١٧م أصبح فى إسكودار ثمانية عشر حى[2]، أى أنه وجد عشرة أحياء جديدة وهم (أمير اخور - جولغم خاتوم - تويغور حمزة - حسن أغا - حاجى محمد - أوليا خوجا - عبد الله خوجا - خير الدين جاووش - جامع سلطانه - صولاق سنان بك)[3] .

وقد ذكر "يلمازاوزتونا" أن ضاحية إسكودار تحتوى على سبعين زقاقا للمسلمين، وأحد عشر للروم والآرمن، وزقاق واحد لليهود خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، كان بها تسعمائة دار وثمانية جوامع سلاطينية، وجوامع ومساجد كثيرة[4].

وفى بداية القرن ١٨م (١٧٠٠- ١٧١٢م) وفى النصف الثانى منه (١٧٦٤- ١٧٦٥م) ظهرت مناطق جديدة فى ضاحية إسكودار طبقا للسجلات مثل (الدباغين – أركيجى - جعفر أغا - قاضى عسكر - نقاش باشا - حاجى خاتون - بازار باشا - إياظمه - شيخ سليمى أفندم - إحسانية - اشجى باشا - رئيسى - عتيق والدة - سنان باشا – كفرة - قاسم باشا)[5].

واعتباراً من القرن ١٨م أصبحت إسكودار حديقة السلاطين وحصنا لهم حيث بنى السلطان مصطفى الثالث حى الإحسانيه وبيلربيك. وفى النصف الثانى من القرن ١٩م، جاء فى دفتر السجلات بتاريخ (١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م) أن ضاحية إسكودار تضم تسعة وثلاثين حياً وسبع قرى، ويفهم من ذلك أن هناك أحياء جديدة أضيفت للضاحية مثل (حى سلامى - وسليمية - وداغ حمامى - وارقياجى

---

1 - Ahmet Tahir : ÜSKÜDAR ,İslâm Ansiklopedisi, p, 365 .

2 - Ahmet Güneş: 16. VE 17. YUZYILLARDA USKUDAR'IN MAHALLELERİ VE NUFUSU, Üsküdar Sempozyumu, Üsküdar Belediye Başkanlığı, Üsküdar Araştırmaları Merkezi, part I, CİLT 1, İstanbul, 2004, p, 47 .

3 - Ahmet Tahir : ÜSKÜDAR ,İslâm Ansiklopedisi ,p, 366 .

٤ – يلماز أوزتونا: موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية، ترجمة: محمود عدنان سلمان، مج٤، الدار العربية للموسوعات ،ط١ ، ٢٠١٠م.،ص ٦٤٧ .

5 - Ahmet Tahir : ÜSKÜDAR ,İslâm Ansiklopedisi, p, 366 .

الحاج محمد أغا - وسليمان أغا)، وأسس حى السليمية من قبل السلطان سليم الثالث من أجل سكن العسكر الذى شكلهم على النظام الجديد ،كما تم تأسيس مصانع فى تلك المناطق. وفى عام ١٨٧٦م كان يوجد فى إسكودار اثنان وأربعون حيًا وأربع قرى وحوالى ٧١٤٢ منزل للسكن، والأحياء التى زادت فى إسكودار فى القرن ١٩م هى: (باغلر باشى- آلتون زاده - اجى يادم - حيدر باشا). وفى وثيقة عام ١٩٠٢م ذكر أن عدد أحياء إسكودار هو نفس عدد أحياء عام ١٨٧٦م[1] (خريطة ٢).

أما عن علاقة المساجد محل الدراسة بالنمو العمرانى لأحياء ضاحية إسكودار ،فيمكن معرفة ذلك من خلال تقسيم النمو العمرانى إلى مراحل تاريخية ومعرفة المساجد التى بنيت فى هذه الأحياء. ومن هنا يمكن القول أنه فى القرن ١٥م، جاء الأتراك والأرمن واليهود من مناطق الأناضول المختلفة إلي إستانبول، واستقروا أثناء سلطنة محمد الفاتح فى إسكودار .وقد تجمعت إقامة الأتراك الذين استقروا، والذين جاءوا من الآناضول في أكناف الجبال خلف حى شمسي باشا. وذكر في وقفية محمد الفاتح أنه يوجد ثلاثة أحياء ،تجمعت في منطقة البوغاز كانت هي الأحياء الموجودة داخل الأناضول[2].

وبدأ تطور إسكودار بالمرفأ الموجود علي المضيق ومن حوله تشكلت الأحياء نحو المناطق الداخلية. وهذا النطاق التجارى قد منح المرفأ دوراً حيويًا في هذا النوع من التطور. وهذه الأحياء التي كانت قد ظهرت مبكراً جداً في الداخل كانت عبارة عن تجمعات تتمركز حول المساجد[3].

ومن المنشآت التى بنيت فى تلك الفترة مسجد وتربة الوزير "روم محمد باشا" في عام (٨٧٦هـ/ ١٤٧١م)، وحمام ومدرسة اندثرا حالياً، مما يعد من أقدم المباني العثمانية في ضاحية إسكودار. ولقد شيد مسجد "روم محمد باشا" في كنف جبل إسكودار في حي روم محمد باشا بالطرف الآسيوى من إستانبول.

1 - Ahmet Tahir : ÜSKÜDAR ,İslâm Ansiklopedisi, p, 367 .

2 - Selda Karaosman: ÜSKÜDAR'DA ÇEVRE VERİLERİNİN ,p, 347.

3 - Selda Karaosman: ÜSKÜDAR'DA ÇEVRE VERİLERİNİN ,p, 349 .

ومسجد قرا داود باشا (٩٠٠هـ / ١٤٩٥م) الذي تم إنشاؤه من قبل داود باشا أحد وزراء السلطان بايزيد الثاني. ويقع المسجد أمام سوق المعمار سنان بقليل، وقد اقتطع جزء من فنائه عندما تم توسعة الشارع. وعندما ننظر في الكتابات القديمة نجد هذا المسجد الذي كان في خط الدكاكين والسوق قد فقد حيويته القديمة وأهميته قليلاً بسبب إنشاء مسجد مهرماه سلطان، ومسجد ينى والدة بالمنطقة القريبة منه فى فترات لاحقة[١].

وفى القرن ١٦م أصبحت إسكودار في نقطة التقاء للعسكرية والتجارة لإستانبول؛ حيث يبدأ طريق التجارة من إسكودار حتى يصل إلي الأناضول ثم الشرق وإيران. والجيش الذي يخرج إلي غزو الشرق والقوافل التي تأتي من الشرق تنزل فى إسكودار، فإنها تقوم بإنزال بضائعها إلي المرفأ (ميناء). وقد كتب أوليا جلبي أن الأحد عشر خاناً قد قدمت خدمة جليلة لهذه المجموعات المزدحمة[٢]. ومن هنا تحولت إسكودار من قطاع عسكرى إلي تجارى، ومن تجارى إلى مركز حضرى وعسكرى وتجارى؛ مما أدي إلى تكامل البناء العام للضاحية[٣].

ومن المساجد التى بنيت فى تلك الفترة مسجد كلية مهرماه سلطان (٩٥٤هـ /١٥٤٧- ١٥٤٨م) (شكل١)؛ وهو أحد المساجد التى نراها عندما نلتفت حول ميدان الميناء (ميدان اسكلى)، في مواجهة الميناء (المرفأ) من قبل ابنة السلطان سليمان القانونى "مهرماه سلطان" ،وشيد المسجد فوق مدرج مرتفع يشرف علي المرفأ، وتم توجيهه مباشرة على المضيق، وكان قديما شاطئ المضيق يتقدم المسجد مباشرة، وهيمن المسجد على الميدان الموجود أمامه. كما أن جامع مهرماه سلطان الموجود فى محيط الميناء، وهو الذي قد شيد على يد المعمارى سنان، يعد واحداً من العناصر الأكثر أهمية في المنظر الأثرى لهذه المنطقة في أواسط القرن ١٦م، وقد استمرت حيويته مع مسجد شمسى باشا.

1 - Selda Karaosman: ÜSKÜDAR'DA ÇEVRE VERİLERİNİN ,p, 347.

2 - Selda Karaosman: ÜSKÜDAR'DA ÇEVRE VERİLERİNİN ,p, 349 .

3 - Pinar Kayaalp : the Atik Valide mosque, p, 135 .

وكذلك مسجد كلية شمسي أحمد باشا (٩٨٨هـ /١٥٨٠م) (شكل٢)؛ الذى يقع علي ساحل إسكودار المطل علي مضيق البوسفور بجوار ميدان شمسي باشا، بالقرب من المرفأ. وعندما تكون قادما من الساحل المقابل فإن المسجد يحتل مكاناً قدر المستطاع أمام كل من مسجد "روم محمد باشا" ومسجد " آياظمه "، بسبب جماله وملاءمة مكانه[١].

كما شيد مسجد كلية عتيق والدة (٩٩١هـ / ١٥٨٣م) على تل أو تبة مرتفعة فى حى طوب تاش (Toptaş)، وأقيم من قبل والدة السلطان" مراد الثالث" نوربانو سلطانة في عام ١٥٨٣م. وبناءً على رغبة نوربانو والدة سلطان تم اختيار قطعة أرض من أجل بناء الكلية فى حي طوب طاش. وبعد إنشاء الكلية تحولت المنطقة إلى مقر سكنى[٢].

أما فى القرن ١٧م فيمكن النظر إلى إسكودار بوجه عام بناءً على رأى أوليا چلبى: "وصفها أوليا جلبى بأنها مدينة الجوامع حيث يتواجد بها جامع مهرماه سلطان، عتيق والدة سلطان، كوسم والدة سلطان، وجامع شمسي باشا البديع الجمال الذي بجانب المرفأ. وتم إنشاء جامعين أو ثلاثة جوامع كبار في إسكودار. بالإضافة إلى ذلك فإن إسكودار هي مدينة العمران والمدارس والتكايا بأعداد كبيرة.

وظهرت بها المجمعات المعمارية التى تؤدى وظائفها بطريقة متكاملة. وهى في الوقت نفسه مدينة القصور والسرايات. حيث إنشئت بها قصور وسرايات رائعة كان أغلبها للعائلات المهمة بإستانبول"[٣]. وفي هذا القرن تم البدء بتأسيس نظام لإقامة السكن أو الاستقرار عرف بحضارة البوسفور، وهو الذى أستمر حتى القرن ١٩م، وظهرت المنازل على شاطئ البوسفور فى شكل مصايف للعائلات الغنية والكبيرة؛ مما خلق بيئة فريدة بين الماء والمنازل[٤].

1 - Selda Karaosman: ÜSKÜDAR'DA ÇEVRE VERİLERİNİN ,p, 350 .

2 - Selda Karaosman: ÜSKÜDAR'DA ÇEVRE VERİLERİNİN ,p, 351 .

3 - Evliya Çelebi: Seyahatnamesi, Hazırlayan: Zuhuri Danışman, Cilt, 1 Kitap,2 istanbul 1969-1970,p, 434 .

4 - Selda Karaosman: ÜSKÜDAR'DA ÇEVRE VERİLERİNİN ,p, 354 .

ومن المساجد التى بنيت فى تلك الفترة المسجد الصيني (١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م)، من قبل " كوسم سلطان" وهو أهم منشأة بالقرن السابع عشر الميلادي، شيد فوق تل يطل علي مضيق البسفور وبحر مرمرة داخل مجمع معمارى فى حى يعرف باسمه (حى الصينى)، وقد تطورت هذه المنطقة إلى منطقة تجارية من أجل القادم من الشرق، منذ القرن السادس عشر الميلادي، وكانت وظيفة هذه المنطقة الاستقرار والتخزين[١].

أما فى القرن ١٨م فقد أصبح مضيق البوسفور قبلة السلاطين والمكان المفضل للاستقرار، بعد أن اكتظت العاصمة بالمبانى؛ ففى عصر السلطان أحمد الثالث شيد مسجد كلية ينى والدة (١١٢٢هـ /١٧١٠م) لوالدته نوربانو سلطان بالقرب من ميدان اسكلى، على طريق البحر بين (طريق إسكودار - قاضي كوى) فى وضع مسيطر علي الميدان بأكمله[٢]. ثم شيد السلطان مصطفى الثالث مسجد إياظمه (١١٧٤هـ / ١٧٦٠م) بعد الحريق الذي حدث في عام ١٧٥٨م فى جزء من حديقة سراى إياظمة، فوق تبة عالية مقابل برج العذراء (Kız Kulesi)، وقد اشتهر المسجد بنفس اسم الحى (حى إياظمة).

كما شيد السلطان عبد الحميد الأول مسجد كلية بيلربيك (١١٩٢هـ / ١٧٧٨م) فى حى بيلربيك مطلا علي شاطئ البسفور؛ حيث أقيم المسجد فوق التل الأول، ولاسيما فإن اختيار هذا الموقع تم لعدم وجود مكان في مدينة إستانبول كبير يسمح ببناء مسجد وكلية فيه. وفى بداية القرن ١٩م فقد شيد السلطان سليم الثالث مسجد السليمية (١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م) فى حى السليمية على تل مرتفع بجوار ثكنات السليمية[٣]؛ مما عمل على أحياء هذه المنطقة.

وخلاصة القول أن هذه المساجد كانت أحيانًا سببًا فى نشأة أحياء جديدة؛ مما أدى إلى النمو العمرانى والتوسع للضاحية، وأحيانا أخرى تكون تلبية لاحتياجات المجتمع (خريطة ٣، ٤) .

1 - Selda Karaosman: ÜSKÜDAR'DA ÇEVRE VERİLERİNİN ,p, 354 .

2 - Selda Karaosman: ÜSKÜDAR'DA ÇEVRE VERİLERİNİN ,p, 356 .

3 - Selda Karaosman: ÜSKÜDAR'DA ÇEVRE VERİLERİNİN ,p, 358 .

ومن خلال توزيع المساجد محل الدراسة على الخريطة الجغرافية لضاحية إسكودار لوحظ الآتى (خريطة ٣) :

- أن غالبية المساجد قريبة من بعضها حتى تكاد تتجمع فى منطقة واحدة ما عدا مسجد بيلربيك ومسجد السليمية. ويمكن تفسير سبب وجود مسجد بيلربيك فى هذا الموقع بعدم توافر مكان فى إستانبول القديمة التى تعد مقر الحكم؛ لذلك اتجه السلطان عبد الحميد الأول الذى أراد بناء مسجد وقصر يضاهى منشآت السلاطين فى الجزء الأوربى إلى ضاحية إسكودار فى الجزء الآسيوى؛ فاختار هذا المكان لما يتمتع به من الاستواء، وأنه مطل على مضيق البسفور بحيث يكون متصلاً بصريًا بالعمائر التى فى الجزء الأوربى. أما مسجد السليمية فالذى حكم موقعة يكون سبب إنشائه حيث أنشأ السلطان سليم الثالث هذا المسجد بحيث يكون قريبا من الثكنات العسكرية التى أنشأها السلطان نفسه.

- كما لاحظ الباحث من خلال توزيع المساجد على خريطة ضاحية إسكودار أن المساجد تجمعت فى جزء من الضاحية، أما باقى أجزائها فيخلو من المساجد الأثرية، وهنا السؤال الذى يطرح نفسه لماذا تجمعت المساجد فى هذه الكتلة بعينها ؟ وكذلك لماذا لم توجد مساجد فى باقى أجزاء الضاحية؟

يمكن الإجابة على هذه الأسئلة من وجهة نظر الباحث من خلال الزيارة الميدانية للضاحية على النحو التالى:

لوحظ أن هذا الجزء يقابل إستانبول القديمة؛ أى إنها ترتبط بها ارتباطاً بصريًّا وجغرافيًّا. كما يوجد فى هذا الجزء ميناء إسكودار الذى يربط بين القارة الآسيوية والقارة الأوربية أو الجزء الآسيوى والأوربى لمدينة إستانبول؛ ونستنتج من ذلك أن هذا الجزء أكثر أجزاء الضاحية سكاناً، بالإضافة إلى الناس المارين بين الجزء الآسيوى والأوربى. بالإضافة إلى ذلك فإن هذا الجزء يمثل موقعاً متميزاً للدعاية السياسية لمنشآت السلاطين والأمراء وحريم القصر السلطانى.

أما بالنسبة لعدم وجود مساجد أثرية فى باقى أجزاء الضاحية؛ فيرى الباحث أنه يمكن تفسير ذلك من خلال الآتى:

أن هذه الأجزاء عبارة عن أدغال للأشجار الضخمة، وكذلك أماكن للدفن. وقد لاحظ الباحث أثناء الزيارة الميدانية وجود الجبانات الكبيرة الممتلئة بالأشجار

وشواهد القبور والترب. كما أن فى هذه الأجزاء وجدت مساجد أثرية، ولكن تميزت بالصغر؛ مما أدى إلى انهيارها واندثارها. وكذلك قلة عدد السكان فى هذه الأجزاء؛ مما أدى إلى عدم الاحتياج للمساجد. ومع ذلك لاحظ الباحث أثناء الزيارة الميدانية وجود مساجد متفرقة فى هذه الأجزاء ولكنها حديثة، وتميزت بالصغر، وربما يرجع ذلك أنها بنيت بعد التوسع العمرانى والزيادة السكانية (خريطة ٢).

ثانياً – العلاقة بين المساجد وعدد السكان بضاحية إسكودار :

ارتبط إنشاء المساجد فى ضاحية إسكودار ارتباطاً مباشراً بالنمو العمرانى للضاحية عن طريق زيادة عدد السكان؛ لذا سنتناول فى تلك النقطة العلاقة بين المساجد فى ضاحية إسكودار والكثافة السكانية بها؛ حيث إنه من المتعارف عليه يزداد عدد المساجد ويتسع العمران بزيادة عدد السكان، ولكن فى ضاحية إسكودار يلاحظ كثرة عدد المساجد، التى تفوق حاجة المجتمع، كما أنها لا تتناسب مع المساحة العمرانية ولا مع الكتلة السكنية للضاحية[١]، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالى:

فى بادىء الأمر نذكر أنه قد شيد فى ضاحية إسكودار مائة وسبعة مساجد فى أوضاع مختلفة ما بين مستقل أو ضمن مجمع معمارى أو ضمن تكية، سواء كانت مساجد ضخمة أو مساجد صغيرة، ولكن تعرض كثير من هذه المساجد لعوامل الهدم والخراب (اثنان وتسعون مسجداً نتيجة لأعمال التوسعات أو إنشاء

[١] – وهناك مثال يشبه ضاحية إسكودار يؤكد هذا الكلام " مدينة فوة "حيث يوجد عدد كبير من المساجد والزوايا والأضرحة، حيث بلغ عددها ٣٥٦ ،ومساحتها غالباً متوسطة أو دون ذلك، وكثرة مساجد فوة لا تتناسب مع المساحة العمرانية، ولا مع الكتلة السكنية للمدينة ،وترجع كثرة تلك المساجد إلى الروح الدينية القوية لدى أهالى مدينة فوة إلى جانب انتشار الطرق الصوفية، ويتركز الكثير من هذه المساجد علي شاطئ النيل لدرجة أن أحدها يكاد يلتصق بالآخر .

خالد محمد عزب: فوة مدينة المساجد، دراسة عن المدينة وعمائرها الدينية والمدنية، دار النشر الإلكتروني، ب.ت ،ص ٢٦ .

الطرق أو العوامل البيئية)[١]، وكما أنه فى السنوات الأخيرة أعيد بناء وتجديد ما هدم من هذه المساجد، ومنها ما هو تهدم واندثر ولم يبن مرة أخرى[٢]. وعلى أية حال يمكن معرفة العلاقة بين المساجد والتوسع العمرانى والكثافة السكانية من خلال تقسيم المساجد الباقية بالإضافة إلى المندثرة على الفترات التاريخية.

وعلى هذا الأساس وجد فى القرن ١٥م (جامع داود باشا - مسجد سليمان أغا - جامع روم محمد باشا) ولا توجد معلومات عن عدد السكان. وفى دفتر عام ١٥٣٠م ذكر عدد سكان الضاحية حوالى (٢٤٠٠ شخص) منهم (٤٨%) من سكان إسكودار، و(٥٢%) من سكان القرى والمدن القريبة من إسكودار[٣].

أما فى القرن ١٦م فقد حدث تطور كبير فى عدد السكان وفى عدد المنشأت التى بنيت فى إسكودار مثل عمارت داود باشا وسوق جولغم خاتون وكلية مهرماه سلطان وكلية شمسى باشا وكلية عتيق والدة سلطان[٤]، بالإضافة إلى منشآت القرن ١٥م. كما حدث زيادة فى عدد الأحياء، ففى الربع الأول من القرن السادس عشر كان يوجد ثمانية أحياء[٥]، أما خلال الربع الثالث من القرن السادس عشر فقد وصل عدد الأحياء إلى ثمانية عشر منها ثمانية أحياء قديمة. وبعبارة أخرى فقد حافظت هذه الأحياء على كيانها ووجودها. ومن ناحية أخرى ظهرت عشرة أحياء جديدة؛ مما يدل على الزيادة السكانية العالية.

---

1 - Mehmet Nermi: YÜZYILLAR BOYUNCA ÜSKÜDAR, Birinci Cilt, p, 57.

٢ – أثناء قيامى بالمسح الميدانى لضاحية إسكودار ذكر لى أحد الأتراك يدعى (عبد الكريم أبيه) أنه كان يوجد فى ضاحية إسكودار مساجد كثيرة حتى إنه يقدرها بمسافة كل مائة متر كان يوجد مسجد، ولكن عندما جاء مصطفى آتاتورك هدم معظم هذه المساجد .أما فى الوقت الحاضر فقد أخذت الحكومة الحالية على عاتقها إعادة تأهيل وتجديد وترميم وبناء هذه المساجد مرة أخرى ،ولكن نظرا لكثرة المبانى السكنية وارتفاعها حولها، آثر على ظهور هذه المساجد لما تميزت بالصغر .

3 - Ahmet Tahir : ÜSKÜDAR ,İslâm Ansiklopedisi, p, 366 .

4 - Ahmet Tahir : ÜSKÜDAR ,İslâm Ansiklopedisi, p, 366 .

5 - Ahmet Güneş : 16. VE 17. YUZYILLARDA USKUDAR'IN, p, 54 .

أما فى القرن ١٧م فقد ظل عدد الأحياء كما هو ثمانية عشر حياً فى الربع الأول من القرن السابع عشر[١]. ولقد ذكر أوليا جلبى فى (سياحتنامه) فى الفترة (١٦٣٠ - ١٦٥٦م) أسماء خمسة وخمسين مسجداً فقط من المساجد الموجودة فى ضاحية إسكودار[٢]؛ مما يدل على تناسب عدد المساجد مع عدد السكان أو قد يفوق الحاجة.

كما ذكر أوليا جلبى[٣] فى "سياحتنامه" أنه يوجد فى إسكودار زيادة فى عدد السكان، ومما يشير لذلك أنه يوجد سبعون زقاقاً للمسلمين، وأحد عشر زقاقاً للروم والأرمن، وزقاق واحد لليهود، والغالبية العظمى من المسلمين من أتراك الأناضول، ويوجد أيضا أهالٍ من تبريز، ويوجد كرفانسراى وخان وسراى و (٢٠٦٠) دكاناً فى سوق السلطان، وفى عام ١٦٨٠م ذكر أوليا جلبى وغيره أن اليهود يستقرون فى منطقة كوزكونجك وفى نهاية القرن ١٧م ظهرت أحياء جديدة فى إسكودار، واستقر بها الأرمن[٤] .

واعتباراً من القرن ١٨م بلغ عدد سكان إسكودار (٤٠ ألف نسمة) ولكن لا توجد وثائق رسمية عن ذلك. كما حدث أيضا زيادة فى عدد المنشآت، ومنها كلية ينى والدة (١١٢٢هـ/١٧١٠م) وكلية الأحمدية (١١٢٣هـ/ ١٧٢٢م) ومسجد اياظمه (١١٧٤هـ / ١٧٦٠م)

---

1 - Ahmet Güneş : 16. VE 17. YUZYILLARDA USKUDAR'IN, p, 54 .

2 - Evliya Çelebi :Seyahatnamesi, Cilt, 1 ,p, 435 .

Mehmet Nermi: YÜZYILLAR BOYUNCA ÜSKÜDAR, Birinci Cilt ,p, 57.

3 - Evliya Çelebi: Seyahatnâme, I, 331, 469- 480 .

4 - Ahmet Tahir : ÜSKÜDAR ,İslâm Ansiklopedisi, p, 367 .

من أوائل القرن السابع عشر بدأ الأرمن فى التوافد على القسطنطينية بأعداد كبيرة هربا من الثورات والحروب فى شرق الأناضول ،وحل الأرمن الذين اعتبروا أكثر أمانة ومصداقية من غيرهم محل إلىهود كممولين أساسيين للمدينة، وسرعان ما أصبحوا جزءًا بارزاً من النخبة العثمانية؛ راجع:

فيليب مانسيل: القسطنطينية المدينة التى اشتهاها العالم (١٤٥٣– ١٩٢٤م) ترجمة مصطفى محمد قاسم، الجزء الاول، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، يوليو ٢٠١٥م، ص ٢٠١ ،٢٠٢.

وكلية بيلربيك (١١٩٢هـ / ١٧٧٨م) بالإضافة للمنشآت السابقة ،وكانت الزيادة السكانية فى إسكودار من طربزون وسيواس وقيصرى وملاطية ،وسكن غير المسلمين فى إستافروز وجانكال وكوزكونجك، وبدأت هجرة الأرمن إلى إسكودار فى القرن ١٨م. وأقام الأرمن فى حى سلامية وسلامسز، وفى الأحياء الجديدة[1] (خريطة ٢).

وفى القرن ١٩م صارت إسكودار مدينة مكتظة بالسكان ومن المناطق المزدحمة منطقة كوزكونجك وسلامية وإيجادية. وشيد فى بداية هذا القرن مسجد السليمية (١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م).

وفى عام ١٩٢٢م أصبحت إسكودار لواءً جديداً، فى شكل أمارة مستقلة، وفى عام ١٩٢٦م انضمت إسكودار مرة أخرى إلى ولاية إستانبول، وارتبطت بقضاء إستانبول، وفى عام ١٩٣٠م خرجت مدينة قاضى كوى وبيقوز من إسكودار، وتحولا إلى مدن مستقلة. وفى عام ١٩٨٧م تشكلت مدينة العمرانية، وفى ٢٠٠٨م تشكلت مدينة عطا شيهر، وفى العصر الجمهورى كان يعيش فى إسكودار (٥٧ ألف شخص)، وفى عام ١٩٧٠م أصبح فى إسكودار اثنان وأربعون حياً بها (١٢٠ ألف شخص). وفى عام ٢٠٠٩م اتحدت بعض الأحياء، وأصبح عددها فى إسكودار ثلاثة وثلاثون حياً وعدد السكان فيها (٥٢٤ ألف نسمة)، وفى عام ٢٠١٠م وصل عدد السكان فى إسكودار إلى (٥٢٧ ألف شخص)[2].

ثالثاً – علاقة المساجد بما حولها :

١ – علاقة المسجد بالكلية :

ارتبط المسجد بالكلية منذ بداية تشييد المجمع المعمارى سواء من حيث الموقع أو توزيع المبانى؛ فكان المسجد العنصر الأساسى الذى تنشأ من أجله الكلية، وتوزع من حوله باقى منشآت الكلية؛ لذلك راعى المعمارى عند البدء فى التشيد موضع المسجد بالنسبة لمبانى الكلية، وكذلك الشوارع المحيطة بها ،بحيث يكون

1 - Ahmet Tahir : ÜSKÜDAR ,İslâm Ansiklopedisi, p, 367 .

2 - Ahmet Tahir : ÜSKÜDAR ,İslâm Ansiklopedisi, p, 368 .

متصلاً بالخارج مباشرة سهل الوصول إليه ،وفى الوقت نفسه يكون متصلاً بباقى منشآت الكلية من خلال الممرات أو الأفنية المحيطة بالمسجد. وعملية اتصال المسجد بالمبانى الأخرى سواء كانت خدمية أو تجارية تعمل على راحة أفراد المجتمع، والحصول على احتياجاتهم اليومية بسهولة ويسر، وفى الوقت نفسه تأدية الواجب الدينى (الصلاة) .

كما يلاحظ دائما أن هناك ارتباطاً بين المسجد والمدرسة فى الكلية العثمانية، ولعل ذلك يرجع لعدم استخدام المدرسة فى الصلاة ،وإنما يذهب الدارسون إلى المسجد لتأدية فريضة الصلاة ،ويظهر ذلك فى كلية مهرماه سلطان ،وكلية شمسى باشا ،وكلية عتيق والدة. كما أثر تحديد اتجاه القبلة على موضع المسجد بحيث يكون فى اتجاه القبلة الصحيح؛ مما أثر على الشكل العام للكلية ،ومدى ارتباط المسجد بمبانى الكلية، ويلاحظ أن معظم هذه المساجد يوجد خلفها (روضة)، وذلك للدعاء لأمواتهم والتذكير دائما بالموت وحياة الآخرة .

كما أدخلت المسطحات الخضراء على التكوين العمراني للمسجد في العصر العثماني بهدف وقايته؛ فقد جرت العادة أن تشتعل النار في المنازل التي كانت تبنى بالخشب، وتمتد النار منها إلي المساجد المجاورة؛ مما حدا بالمعمارى أن يحيط الجامع وملحقاته بسور خارجى بينه وبين التكوين المعمارى للمسجد مساحات كبيرة خالية غرست بها الأشجار الباسقة وأنواع الزهور المختلفة التي تساعد على عزل المسجد عن الدور المجاورة، وتحقق في الوقت ذاته قيمة جمالية بكسائها الأخضر وزهورها الملونة[١]، ويظهر ذلك فى كلية عتيق والدة ومسجد السليمية بضاحية إسكودار.

٣ – علاقة المساجد بالضاحية :

تعد الصلاة ومهن التدريس والنشاطات الثقافية إلى جانب تعاطى الصنائع والتجارات من الأعمال التى لا يمكن ممارستها إلا فى إطار عمرانى متسع نسبيا، بل إنها تسهم بدورها فى تطوير المدينة بفضل ما توفره من منشآت مخصصة

[١] – محمد عبد الستار عثمان: دراسة لإمكانية استخدام المسطحات الخضراء فى التشكيل المعمارى للمساجد، دراسة أثرية معاصرة ،أبحاث ندوة عمارة المساجد، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود، مج٣ ،١٩٩٩م ،ص ٢٣ .

للتعليم وإقامة الطقوس؛ فالمناخ الثقافي والاقتصادى الذى تسبح فيه المدينة بواسطة مراكزها الثقافية والدينية والتجارية لا يكيف عادات وتقاليد ومعتقدات ومهن السكان فحسب، بل يؤثر تأثيراً شديداً على طبيعة المنشآت أيضا، وبالتالي على كل المجموعة العمرانية؛ فقد ارتبطت المنشآت التى تخدم تلك المهن من مساجد ومدارس وحمامات وأسواق ارتباطاً وثيقاً بمساجد المدينة وبتطورها العمرانى .

وهناك من المنشآت المدنية ما أنشئ لخدمة العامة من سكان المدينة الإسلامية كالحمامات التى كثر إنشاؤها فى المدينة الإسلامية لحاجات وظيفية مرتبطة بدعوة الإسلام للنظافة والتطهر، وبعدم قدرة العامة جميعا على تضمين منازلهم حمامات خاصة، وبرغبة القادرين على إنشاء هذه الحمامات فى استثمار أموالهم فى إنشائها لما تدره من ريع وفير لشدة الطلب عليها، ومن هنا كثرت الحمامات العامة فى المدينة الإسلامية كثرة واضحة، ونظمت سلطات المدينة إنشاءها وما يتصل بذلك من تزويدها بمصادر الماء وقنوات الصرف، وما يصدر عن بنائها من دخان تحكم أحيانا فى تحديد مواضعها ووحداتها[١].

والجدير بالذكر أنه لم يقتصر النسيج العمرانى للمدينة على توضيح الشوارع أو الساحات فقط، بل أماكن المنشآت المتعلقة بالخدمة العامة ،وتمثل أماكن للاتصال الاجتماعى. ويتضح معالم المدينة من ميادين وشوارع رئيسية وفرعية بعد إنشاء المنشآت المعمارية[٢] .

وتتمثل الحياة الاجتماعية في المدينة الإسلامية في الجامع والسوق؛ حيث إنها توفر للرجال اجتماعاتهم الشخصية بصلاة الجماعة ،وتوفر للسيدات ما يكون مرتبطاً بمنازلهن؛ وبسبب ذلك فإن الساحات الاجتماعية تكون أماكن من أجل تكوين الكليات المعمارية العديدة[٣].

ومن هنا يعتبر وجود المسجد عنصراً أساسياً لإقامة التجمع العمرانى سواء كان قرية أو مدينة[٤]؛ حيث شكلت مساجد الحى مراكز تعليمية ومنظمات خيرية ضمن

---

[١] – محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية ،ص ٢٢١ .

2 - Selda Karaosman: ÜSKÜDAR'DA ÇEVRE VERİLERİNİN , p, 343 .

3 - Selda Karaosman: ÜSKÜDAR'DA ÇEVRE VERİLERİNİN , p, 342 .

[٤] – يحيي وزيري: العمران والبنيان في منظور الإسلام، مكتبة الكويت الوطنية، ٢٠٠٨م، ص ٣٨.

التكافل الاجتماعى، وبمرور الوقت أنشأت الكلية مجتمعة في محيط المسجد مكونة من[١] (المسجد مع مكتب للصبيان ،والمدرسة ، والحمام ... إلخ) للهدف نفسه. وكان المسجد هو المنشأة الأساسية في الكلية المعمارية ،وأصبح المسجد يقدم حاجات المجتمع[٢]، بالإضافة إلى الحاجة الدينية التي يمثلها مع المنشآت الأخرى[٣]، كما أثرت الطبوغرافية على كيفية انتشار المنشآت المعمارية.

ولقد تشكل النسيج العمرانى للمدينة العثمانية من كليات السلاطين وجوامع وكليات زوجات السلاطين والصدور العظام والوزراء، فقد التى تمثل الطبقة العليا فى الدولة، والمساجد الصغيرة باختلاف نسبتها وأهميتها[٤]. وعلى هذا الأساس فقد تم توزيع مساجد وكليات ضاحية إسكودار على أحياء الضاحية؛ فنجد كلية عتيق والدة وكلية الأحمدية وكلية ينى والدة تخدم الجزء الداخلى للضاحية ،وكلية مهرماه سلطان ،وكلية شمسى باشا تخدمان الجزء الخارجى للضاحية (خريطة ٤).

---

[١] – يختلف حجم الكلية طبقاً لموقعها ووقتها ومنشأها، وبالتالى يختلف عدد المرافق من كلية لأخرى، ويمكن تصنيف هذه المرافق إلى خمس فئات رئيسية (دينية وتعليمية وخدمية وتجارية وخاصة) .

[٢] – هناك علاقة بين الحى السكني وحجم الكلية والوظائف التي تقوم بها مثل كلية شمسى باشا، والأحمدية، وهذه الكليات تقدم خدمات متواضعة.

3 - Selda Karaosman: ÜSKÜDAR'DA ÇEVRE VERİLERİNİN , p, 343 .

4 - Selda Karaosman: ÜSKÜDAR'DA ÇEVRE VERİLERİNİN , p, 343 .

٣ – علاقة المساجد بخارج الضاحية :

ارتبطت مساجد ضاحية إسكودار بمعالم وضواحى مدينة إستانبول ارتباطاً وثيقاً من خلال البعد البصرى لموقع هذه المساجد؛ حيث يقسم مضيق البسفور مدينة إستانبول إلى جزءين (أناضولى وأوربى)؛ ونظراً لأهميته شيدت على ضفتيه المنشآت المعمارية، وخاصة المساجد السلطانية؛ حتى أصبح فى القرن ١٩م قبلة السلاطين؛ لذلك بنوا عليه المساجد والقصور بعد اكتظاظ إستانبول القديمة بالمبانى.

ويمكن رصد العلاقة البصرية بين مساجد ضاحية إسكودار والضواحى الأخرى لمدينة إستانبول عن طريق محورين؛ أولهما: البناء على شاطىء المضيق فى مواجهة الضواحى الأخرى مثل بناء مسجد كلية بيلربيك (١١٩٢هـ / ١٧٧٨م) فى مواجهة (أورطا كوى) ولاسيما أن اختيار هذا الموقع تم لعدم وجود مكان في مدينة إستانبول كبير يسمح ببناء مسجد وكلية، وبناء مسجد كلية مهرماه سلطان (٩٥٤هـ /١٥٤٧- ١٥٤٨م) فى مواجهة (بشكتطاش) مباشرة ،وبناء مسجد كلية شمسى باشا (٩٨٨هـ/١٥٨٠م) فى مواجهة (إستانبول القديمة)(خريطة٤).

أما المحور الثانى: البناء فوق المرتفعات لكى ترتبط بضواحى إستانبول كلها مثل بناء مسجد كلية روم محمد باشا (٨٧٦هـ / ١٤٧١م) فوق ربوة مرتفعة تطل على مضيق البوسفور ،وشيد مسجد كلية عتيق والدة (٩٩١هـ / ١٥٨٣م) على تل أو تبة مرتفعة فى طوب تاش (Toptaş) فى مواجهة مركز إستانبول؛ وعلاوة على ذلك ليكون الموقع أعلى من موقع مجمع مهرماه الذى على ساحل إسكودار، ومن هنا ربما رمز مجمع عتيق والدة إلى التفوق وسمو والدة سلطان على ابنة السلطان.

واختيار موقع كلية نوربانو ربما مقصود بسبب العلاقة البصرية مع أبنية الإمبراطورية الأخرى، حيث إنه معَلم روحى ودينى واجتماعى وإسهام اقتصادى للحى الذى يقع فيه ،وشيد مسجد كلية الأحمدية (١١٢٣هـ/ ١٧٢٢م) على موضع مرتفع؛ مما أدى إلى ظهور المسجد على الرغم من صغره ،وشيد مسجد إياظمه (١١٧٤هـ /١٧٦٠م) فوق ربوة عالية بحيث يشرف على المنطقة

المحيطة به، وكذلك يبدو واضحاً للناظر من الجزء الأوربى على إسكودار (خريطة ١ ،٤).

٤ – علاقة المسجد بالمنشىء:

من المعروف أن المنشآت المعمارية تعكس الحالة الاقتصادية والسياسة والاجتماعية للدولة، كذلك ارتبطت المنشآت المعمارية ومن ضمنها المساجد بالمنشىء من خلال انعكاس الحالة الاقتصادية والرغبة السياسية والدينية ونظرته الإجتماعية والمعمارية، ويمكن توضيح ذلك وتطبيقه على مساجد ضاحية إسكودار على النحو التالى:

ارتبط المبنى بالحالة الاقتصادية للمنشىء ومكانته الاجتماعية[١]، من خلال ضخامتة أو صغره، ومواد البناء المستخدمة، ومدى زخرفته، وعدد العمال القائمين على خدمته، ومقدار أجورهم ،وكذلك حجم الأوقاف الموقوفة عليه. ويمكن ملاحظة ذلك فى المساجد محل الدراسة؛ فنجد مساجد السلاطين تتميز بالضخامة والزخارف الثرية وكثرة العمال والأوقاف الموقوفة عليها، مثل مسجد ينى والدة ومسجد أياظمة ومسجد السليمية ،والعكس بالنسبة للفئات الأخرى مثل مسجد الأحمدية ومسجد شمسى باشا. ومما يؤكد ما سبق بناء السلاطين المجمعات المعمارية أثناء ازدهار الدولة العثمانية داخل ضواحى إستانبول ،أما خلال فترة تدهورها فقد اتجه السلاطين فى البناء نحو الشواطئ؛ وكذلك مساجد منفردة بدلاً من المجمعات المعمارية لضعف الحالة الاقتصادية.

---

[١] – تفاوتت الفئات المشيدة لمساجد ضاحية إسكودار ،ما بين سلاطين مثل السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣ – ١٧٣٠م) ووهبة لامة ربيعة كولنوش والدة سلطان (أمة الله)، والسلطان مصطفي الثالث تخليداً لذكرى وفاة والدته "مهرشاه أمينة سلطان"، والسلطان عبد الحميد الأول (١١٨٧-١٢٠٣هـ / ١٧٧٣- ١٧٨٨م) إهداءً لوالدته ربيعة سلطان، والسلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م)، ووزراء مثل الصدر الأعظم روم محمد باشا، والوزير شمسي أحمد باشا، وموظفين فى الدولة مثل قرا داود باشا ،وأمين زاده الحاج أحمد أغا مراقب في الترسانة البحرية تحت حكم السلطان أحمد الثالث، وأبناء سلاطين مثل السلطانة مهرماه سلطان ابنة السلطان سليمان القانوني، وزوجات وأمهات سلاطين مثل نوربانو سلطان زوجة السلطان سليم الثانى وأم السلطان مراد الثالث ،والسلطانة " كوسم **kosem**" زوجة السلطان أحمد الأول ووالدة السلطان مراد الرابع والسلطان إبراهيم المجنون وحفيدها محمد الرابع.

أما الرغبة السياسية فقد عبر عنها المنشىء من خلال موقع المسجد أو الكلية؛ لذلك فضل السلاطين عادة البناء في إستانبول بسبب أهميتها وحجمها وطبيعتها، لذا فقد ذهبت معظم جهودهم لبناء كلياتهم فى إستانبول[١]. ويمكن ملاحظة ذلك فى ضاحية إسكودار من خلال التوجه للبناء على شاطىء البسفور مثل مسجد مهرماه سلطان ،ومسجد شمسى باشا ،ومسجد بيلربيك وذلك للدعاية السياسية. وعندما لا يتوفر مكان على المضيق يتم اختيار موقع مرتفع مثل مسجد روم محمد باشا، وكلية عتيق والدة، ومسجد أياظمة.

كما تظهر الرغبة الدينية للمنشىء فى حبه نيل الثواب من الله والتقرب إليه بالأعمال الخيرية من خلال بناء المنشآت المعمارية التى تخدم المجتمع، ومن أشهرها المساجد ،حتى أن حريم القصر السلطانى اللاتى كن يشكلن مركز قوة في الدولة[٢]، قد تنافسن في إنشاء المساجد زلفى إلى الله، وقد تركزت هذه المساجد في ضاحية واحدة من ضواحى إستانبول هي ضاحية إسكودار .ومن تلك المساجد مسجد عتيق والدة من قبل (نوربانو والدة سلطان)، ومسجد الصينى الذى قامت ببنائه (كوسم والدة سلطان)، ومسجد كلية ينى والدة وينسب إلى (كولنوش والدة سلطان)[٣].

---

1 - Rafee Hakky: The Ottoman Külliye ,p, 71 .

٢ – وصل حريم الإمبراطورية فى القصر العثمانى إلى الرؤساء من خلال الشعر والموسيقى، وبرعوا فى الخط واللياقة البدنية؛ حيث تعلموا التربية فى سن مبكر تحت إشراف المؤدب ،ولم يشارك فى سياسة الدولة من سيدات القصر إلا عدد قليل بحثا عن طموحات دنيوية أو تنفيذ رغبات أخرى أو التخلص من الأسر .

Can Alpgüvenç: Üsküdar'dakí Valide Sultan Külliyeleri, Akademik Arajtirmalar Dergisi, Sayi 48, 2011 ,p, 309 .

٣ – عبد العزيز الشناوى: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٦٨١ .

كما تظهر نظرة المنشىء الاجتماعية وعلاقتها بالمبنى من خلال تلبيته احتياجات المجتمع[١]، وخاصة عندما يكون المسجد ضمن مجمع معمارى؛ فيعمل على تكامل خدمة المجتمع[٢]. ومثال على ذلك مسجد مهرماه سلطان ،ومسجد كلية عتيق والدة سلطان. أما النظرة المعمارية للمنشىء فتتضح من خلال تدخله فى تصميم المبنى، ومثال على ذلك عندما شيد المعمارى سنان مسجد مهرماه سلطان ولم تعجب السلطانه بالإضاءة الداخلية للمسجد؛ فأمرت المعمارى سنان ببناء مسجد آخر لها فى قابى أدرنة.

أهم النتائج :

- خلاصة القول أن ضاحية إسكودار قد ازدهرت اقتصاديًا فاتجه السلاطين وأمهاتهم وكبار رجال الدولة للبناء فيها، وأصبحت إسكودار قبلتهم، بعد أن اكتظت العاصمة إستانبول بالعمائر؛ مما انعكس على عمارة المساجد وفخامة الأبنية الأخرى.

- أثرت عمارة المساجد على تخطيط ضاحية إسكودار وتطورها العمرانى من خلال معرفة العوامل المؤثرة على النمو العمرانى للضاحية من طبيعة الموقع والدعاية السياسية وازدحام الجزء الأوربى بالمنشآت المعمارية وسلطة نساء القصر السلطانى، ومعرفة اتجاه التطور العمرانى للضاحية الذى كسر القاعدة المتعارف عليها (أن التطور العمرانى يكون متجهاً إلى خارج المدينة)، ففى ضاحية إسكودار كان التطور العمرانى متجهاً إلى الداخل، وتتبع مراحل التطور

---

١ – والحقيقة أن نوع الأبنية فى المجموعة المعمارية يرجع إلى مُشيدها ،وما يراه مناسباً طبقاً لاحتياجات المنطقة من مساجد ومدارس وما شابه، وما يُقدمه وينفقه في أوجه البرّ والخير، وفيما يراه من حاجة الدولة لهذا النوع من المنشآت .

هالة محمد أحمد: عمائر مدينة قيصري إبان عصر سلاجقة الروم، رسالة دكتوراة، جامعة حلوان، كلية الآداب، ٢٠١٥م، ص٢٢٦.

٢ – تنافست الوالدة سلطان مع أزواجهن وابنائهن فى بناء الأبنية المختلفة فى أماكن مختلفة، ومن هذه الأبنية المساجد والمدارس وكتاتيب الصبيان والجشمات والأسبلة ودار الضيافة ودار الشفاء والعمارت والكرانفسراى ،كما تنافسن أكثر فى أعمال الوقف لمساعدة المحتاجين؛ لذلك أنشئت مؤسسات عديدة للرعاية الاجتماعية ،لكى تقدم التضامن والتكافل الاجتماعى.

Can Alpgüvenç: Üsküdar'dakí Valide Sultan Külliyeleri ,p, 309

العمرانى لأحياء الضاحية، وعلاقة مساجد ضاحية إسكودار بالنمو العمرانى لأحياء الضاحية.

- جاء إنشاء المساجد وأعدادها متوافقاً، بل يفوق الحاجة مع الزيادة السكانية والنمو العمرانى لضاحية إسكودار؛ من خلال قسمة متوسط عدد السكان على مجموع مساحة المساجد التى تستخدم للصلاة ،فى ضوء المساحة الافتراضية التى يشغلها المصلى[١]، مع مراعاة الفترة التاريخية، وبعد استبعاد الأطفال والنساء وغير المسلمين.

- ارتبطت المرافق والمنشآت المختلفة لضاحية إسكودار من مساجد ومدارس وحمامات وأسواق ارتباطاً وثيقاً بالمساجد، وأثرت مواضع تلك المساجد على توزيعها داخل الضاحية سواء كانت ملحقة بالكليات أو منفردة. ومن ثم ارتبطت جميعاً بالنمو العمرانى للضاحية.

- تتمثل العلاقة بين المساجد ومعالم ضاحية إسكودار فى أربعة محاور هى: علاقة المسجد بالكلية من خلال ارتباط المسجد بالمدرسة، وتقدم المسجد (الروضة)، ووجود مسطحات خضراء حول منشآت الكلية بهدف وقايتها. وعلاقة المساجد بالضاحية من خلال توزيع المساجد على أحيائها سواء كانت ملحقة بالكليات أو منفردة. وعلاقة المساجد بخارج الضاحية من خلال البعد البصرى لموقع هذه المساجد بالضواحى الأخرى عن طريق البناء على شاطىء المضيق فى مواجهة الضواحى الأخرى أو البناء فوق المرتفعات؛ لكى ترتبط بباقى ضواحى إستانبول .وعلاقة المسجد بالمنشىء من خلال انعكاس الحالة الاقتصادية والرغبة السياسية والدينية ونظرته الاجتماعية والمعمارية على عمارة المسجد.

---

[١] – باعتبار أن كل مصلٍّ يشغل مساحة قدرها ٠.٧٥ م ٢ .

محمد عبد الستار عثمان: الآثار المعمارية للسلطان الأشرف برسباى بمدينة القاهرة ،رسالة ماجستير ،كلية الآثار ،جامعة القاهرة ،١٩٧٧م ،ص ١٢٥ .

المراجع العربية :

- أحمد حلمى صادق :منشآت التصوف الباقية بوسط الأناضول خلال القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى" دراسة آثارية معمارية "، رسالة ماجستير ،كلية الآثار ،جامعة قنا ،٢٠١٥م.
- جينفير سكيرس: الثقافة الحضارية فى مدن الشرق، ترجمة: ليلى الموسوى، سلسلة عالم المعرفة، العدد٣٠٨، الكويت، ٢٠٠٤م.
- حافظ حسين الإيوانسرى :حديقة الجوامع ,مطبعة عامره ده طبع ,ج ٢, ١٢٨١هـ.
- خالد محمد عزب: فوه مدينة المساجد ، دراسة عن المدينة وعمائرها الدينية والمدنية ، دار النشر الإلكتروني ، ب.ت .
- الصفصافى أحمد المرسى: إستانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة،دار الآفاق العربية للنشر،ط ١ ، ١٩٩٩م.
- شهاب الدين ابن الربيع: سلوك المالك فى تدبير الممالك، تحقيق: عارف أحمد عبد الغنى، دار كنان، دمشق، ١٩٩٦م.
- عبد العزيز محمد الشناوى :الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ،ج١ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٨٠م.
- فيليب مانسيل: القسطنطينية المدينة التى اشتهاها العالم (١٤٥٣-١٩٢٤م) ترجمة مصطفى محمد قاسم، الجزء الأول، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت، يوليو ٢٠١٥م.
- محمد عبد الستارعثمان:

- المدينة الإسلامية، سلسة عالم المعرفة،العدد١٢٨، الكويت، ١٩٧٨م.

- دراسة لإمكانية استخدام المسطحات الخضراء فى التشكيل المعمارى للمساجد ،دراسة أثرية معاصرة ،أبحاث ندوة عمارة المساجد ،كلية العمارة والتخطيط جامعة الملك سعود ،مج٣، ١٩٩٩م.

- محمد على حامد بيومى: كتابات العمائر الدينية العثمانية بإستانبول دراسة أثرية فنية ،رسالة دكتوراه ،آثار القاهرة ،١٩٩٠م.

- **هالة محمد أحمد أحمد: عمائر مدينة قيصري إبان عصر سلاجقة الروم، رسالة دكتوراة، جامعة حلوان، كلية الآداب، ٢٠١٥م.**
- **يحيي وزيري: العمران والبنيان في منظور الإسلام ،مكتبة الكويت الوطنية ،٢٠٠٨م.**
- **يلماز أوزتونا: موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية، ترجمة محمود عدنان سلمان، مج ٤، الدار العربية للموسوعات، ط١، ٢٠١٠م.**

المراجع الأجنبية :

- **Ahmet Güneş :16. VE 17. YUZYILLARDA USKUDAR'IN MAHALLELERİ VE NUFUSU, Üsküdar Sempozyumu, Üsküdar Belediye Başkanlığı, Üsküdar Araştırmaları Merkezi, part I, CİLT 1, İstanbul, 2004 .**
- **Ahmet Tahir Dayhan : ÜSKÜDAR ,İslâm Ansiklopedisi, Türkiye Diyanet Vakfı, Ankara, cilt 42, 2012 .**
- **Can Alpgüvenç :Üsküdar'dakí Valide Sultan Külliyeleri, Akademik Arajtirmalar Dergisi, Sayi 48, 2011 .**
- **Doğan Kuban: Ahistory of ottoman architecture, England, 2010.**
- **Evliya Çelebi :Seyahatnamesi, Hazırlayan: Zuhuri Danışman, Cilt, 1 Kitap,2 istanbul 1969-1970 .**
- **Godfrey Goodwin: A History of Ottoman Architecture, Thames and Hudson Ltd, London, 1971.**
- **Hillenbrand Robert: Islamic Architecture, The American University in Cairo Press, 2000.**
- **Mehmet Nermi Haskan and others: YÜZYILLAR BOYUNCA ÜSKÜDAR, Cilt,1 , Üsküdar Belediyesi Üsküdar Araştırmaları Merkezi, 2001.**

- **Majdi Ahmed Almansouri : The role of the Friday Mosque (Al-Jami) in Islamic cities, Ph.D, University of Illinois at Urbana-Champaign, 1991.**
- **Paul oliver, Binarismin in an Islamic City, selected papers from A Symposium organized by the College of Architecture and planning, 5-10 Jan 1980, King Faiasal university, Dammam, 1403/1983.**
- **Pinar Kayaalp-Aktan : the Atik Valide mosque complex: Atestament of Nurbanu,s prestige, power and piety,The Center for Middle Eastern Studies, Harvard University, 2005.**
- **Rafee Hakky : The Ottoman Külliye between The 14th and 17th Centuries, Its Urban Setting and Spatial Composition, Ph.D , Virginia Polytechnic Institute and State University, 1992 .**
- **Selda Karaosman :ÜSKÜDAR'DA ÇEVRE VERİLERİNİN OSMANLI DÖNEMİ CAMİLERİNİN YERLEŞİMİNE ETKİSİ, Üsküdar Sempozyumu, Üsküdar Belediye Başkanlığı, Üsküdar Araştırmaları Merkezi, part I, CİLT 1, İstanbul, 2004 .**
- **Sinem Arcak : Üsküdar as the site for the mosque complexes of royal women in the sixteenth century,Tez Yükseklisans,Sabancı Üniversitesi, 2004 .**
- **Suraiya Faroqhi : Pilgrims Sultans , The Hajj under the ottoman (1517 – 1683) , londan ,1994 .**

الخرائط والأشكال

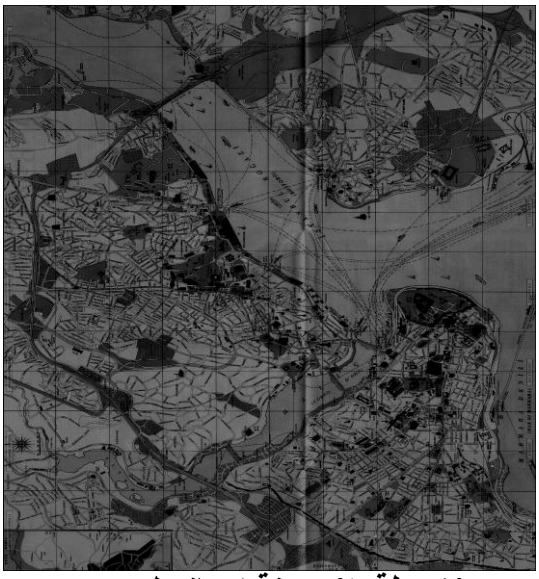

(خريطة ١) مدينة إستانبول عن :

http://www.orangesmile.com/travelguide/istanbul/high-resolution-maps.htm

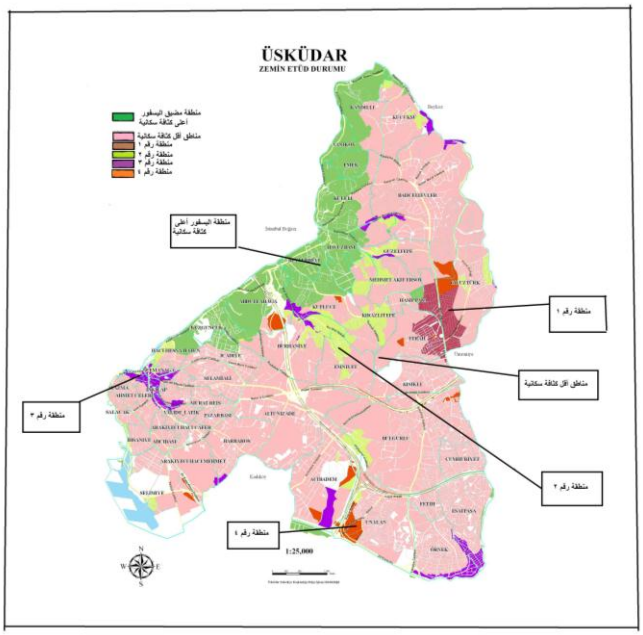

(خريطة ٢) أماكن الاستيطان فى أحياء ضاحية إسكودار بتصرف عن :

https://www.uskudar.bel.tr/userfiles/files/etudDurum.jpg

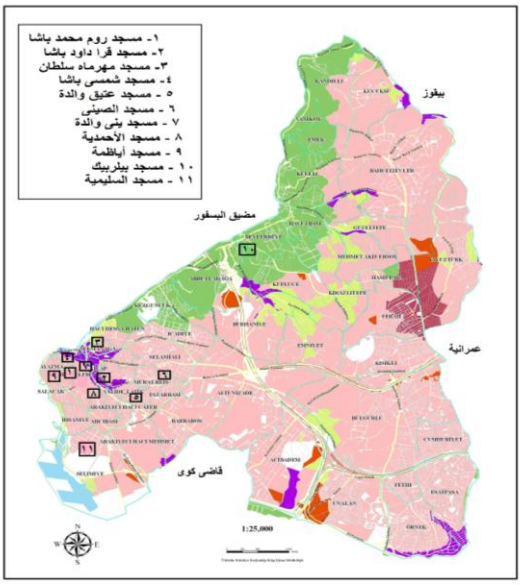

(خريطة ٣) مواقع مساجد ضاحية إسكودار بتصرف عن
https://www.uskudar.bel.tr/userfiles/files/etudDurum.jpg:

(خريطة ٤) توزيع المساجد فى ضاحية إسكودار بتصرف عن :
http://www.orangesmile.com/travelguide/istanbul/high-resolution-maps.htm

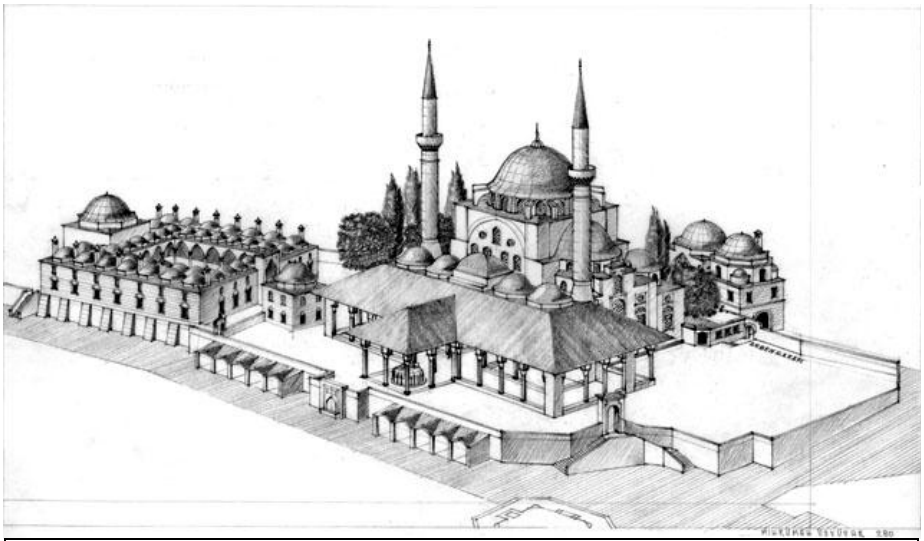

(شكل ١) منظور ثلاثى الأبعاد لكلية مهرماه سلطان عن:
http://archnet.org/library/images/oneimage.jsp?location_id=9820&image_id=137141

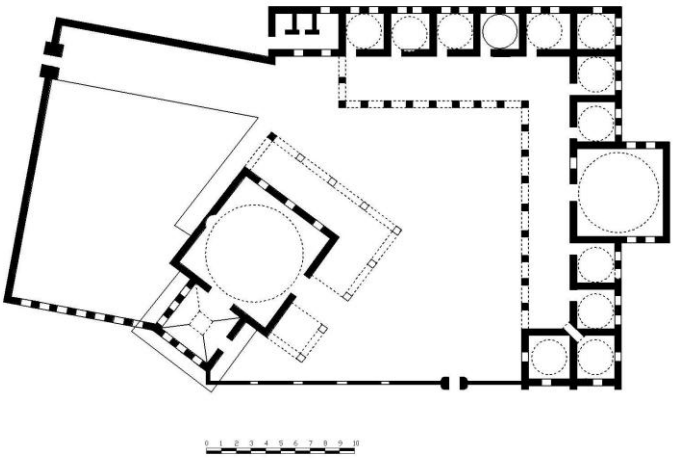

(شكل ٢) مسقط أفقى لكلية شمسى باشا (عمل الباحث)